الدرس الصوتي عند ابن معطي في ألفيته
-إبداع واتّباع -
Phonetice in Ibn Muti's millenium

د(ة).فاطمة بن عدة
المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان- الجزائر

الملخص:

ابن معطي الزواوي، اللغوي النحوي الفذُّ، واحد من أعلام الجزائر المشهورين، اشتُهر بألفيته في النحو العربي، المسمَّاة "بالدرّة الألفية في النحو والصرف والخط والكتابة"، وتشتمل الألفية على مباحث صوتية كثيرة، كالحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها، وبعض المباحث الصوتية الصرفية.

وسنبرز في هذه الورقة البحثية أهم المحطَّات والمباحث الصوتية التي تضمنتها ألفية ابن معطي.

الكلمات المفتاحية: ابن معطي، التجانس الصوتي، وظيفة الصوت، صفات الأصوات، مخارج الأصوات.

Abstract:

Ibn Muti al-Zawawi is one of the famous Algerian grammarian. He is famous for his Millennium in the Arabic grammar, called "Dora the millennium in grammar, morphology, calligraphy and writing". It includes the millennium of many sound researches, such as Arabic sounds, their pronunciation and description in addition to some researches about morphology.

In this research paper, we will highlight the most important phonological researches included in the millennium of Ibn muti..

Key words: Ibn Muti, vocal harmonies, voice function, qualities of sounds, sounds pronunciation.

مقدمة:

لو تتبعنا تاريخ الدّرس الصوتي قبل ابن معطي بشيء من التّفصيل فلن تكفينا هذه الصفحات؛ لأن الأمر يحتاج إلى مجلدات عديدة، ولكننا حاولنا بقدر الإمكان أن نلقي نظرة على أهم محطات الدّراسات الصّوتية والصّرفية والنّحوية من القرن الأول الهجري إلى القرن السادس الهجري، والفصل بين هذه المحاور الثلاثة صعب؛ لأنها متّصلة متماسكة يستحيل الفصل بينها لأنّ انطلاقتها كانت مجتمعة، لهذا فحديثنا عن الدّرس الصّوتي يقودنا إلى الحديث عن النّحو والصّرف معا؛ لأنّ انطلاقة الدّرس النّحوي العربي مع أبي الأسود الدّؤلي (ت69هـ) كانت صوتية.

كانت البداية في منتصف القرن الأول للهجرة مع أبي الأسود الدؤلي الذي أمر كاتبه بنقط المصحف الشريف بقوله: "خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فأنقط نقطتين"[1]، فهو بهذا يحدّد بتموقع النقطة من الحرف

[1] أبو عمر الداني، المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، ط2، 1997م، ص4.

نوع الصّائت المنطوق إن كان فتحة أو ضمّة أو كسرة، أما تكرار النقطة مرتين فهو ما يعرف بالتّنوين والذي يرمز له بتكرار الصّائت مرتين.

جاءت مرحلة بعد أبي الأسود استبدلت فيها نقاط الشّكل بحركات مستوحات من الحروف العربية؛ وكان ذلك مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-175هـ) الذي "استبدل نقطة الفتحة ألفا صغيرة منبطحة فوق الحرف، وجعل في موضع الضمة واوا صغيرة فوق الحرف، ووضع موضع الكسرة ياء صغيرة، فإذا كان الحرف المحرك منونا كرّر الحرف الصّغير فيكتب مرتين فوقه أو تحته"[1]، ثم عُمّمت الحركات على جميع حروف الكلمة بعدما كانت مقتصرة على آخرها.

وبعد الخليل جاء تلميذه سيبويه (ت180هـ) الذي نجد في كتابه بابا عنوانه: "عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها وأحوال مهموسها ومجهورها، واختلافها"[1]؛ حيث عدّد فيه الحروف العربية وفصل في مخارجها وصفاتها، وبعد سيبويه تواصلت الدّراسات الصّوتية بين مقلّد ومجدّد لقرون عدّة، حتى القرن السّادس الهجري الذي تميّز بميلاد ابن معطي، وكانت وفاته في القرن السابع، حيث نَظَم ألفيته المعروفة "بالدرّة الألفية في النحو والصرف والخط والكتابة".

[1] مكي درار، المجمل من المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، وهران، الجزائر، ط2، 2006م، ص70.

1- ابن معطي، مبدع الألفية:

كان مولد العالم "شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي سنة أربع وستين وخمس مئة (564هـ)"[1] عرف بالزَّواوي "نسبة إلى زَواوة: وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية"[2]، وهي الولاية الجزائرية المعروفة.

رحل ابن معطي إلى دمشق وهناك اتصل "بالملك المعظّم عيسى ابن محمد الأيوبي، وكان من علماء الملوك، محبا للعلم مكرّما للعلماء... ولما توفي الملك المعظم سنة 624هـ، اتّصل ابن معطي بالملك الكامل سلطان الدولة الأيوبية بمصر، الذي أمره أن يسافر معه إلى مصر، وقرّر له معلوما على أن يقرئ الناس الأدب والنحو بالجامع العتيق بمصر. ولم تطل مدة حياته بمصر، فتوفي بها في سلخ ذي القعدة سنة 628هـ"[3]، وبهذا يكون ابن معطي قد عاش"حياته شطرين: شطرا في المغرب، حيث ولد وتلقى معارفه الأولى، وشطرا

---

[1] سيبويه، الكتاب، تح وشر: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط1، 1966م، ج4، ص431.

[2] شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط11، ج22، ص324.

[3] ابن معطي، الفصول الخمسون، تح: محمود محود الطناحي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دط، دت، ص12 .

في المشرق، حيث صنّف ونظم"[1]، وتوفي بعيدا عن مدينة بجاية وبعيدا عن الجزائر مسقط رأسه.

2- ألفية ابن معطي:

لألفية ابن معطي ميزات خاصة حيث "تعدّ الدرة الألفية في علم العربية من أشهر مؤلفات ابن معطي؛ لأنها أول منظومة نحوية في ألف بيت، ويعدّ ابن معطي الرائد في استعمال لفظ الألفية في أشعاره، فقد أطلق هذه التسمية على منظومته النحوية، حيث قال:

..... هــذا تمــام الدّرّة الألــفيــة

فابن معطي صاحب الفضل في هذا الشأن؛ لأنّه فتح الباب لمن أتى بعده كابن مالك (ت 672 هـ)، والآثاري (ت 828 هـ)، والسيوطي (ت 911 هـ)، ويكفي أن نذكر أنَّ ابن مالك قد عرف قدر ابن معطي، حيث قال في ألفيته:

..... فــــائقة ألفيـــــة ابن معطـــي

وهو بسبـق حــائزا تفضيـــلا مستـوجب ثنـــائـــي الجميـــلا

[1] المرجع نفسه، ص14-15، بتصرف.

لقد نظم ابن معطي ألفيته على بحرين، هما: بحر الرجز وبحر السريع[1] فهي بهذا أوّل ألفية نظمت في النحو من إبداع عالم لغوي جزائري، وكان هو أول من أطلق هذا الاسم على ألفيته.

3- الملامح الصوتية في متن الألفية:

وكما سبق الذكر فإنه لا يمكننا فصل الدّراسة الصّوتية عن نظيرتيها الصّرفية والنّحوية؛ لأن الدّرس الصّوتي هو الأساس، ولها دورها في تنويع بنية الصيغ، وتلوين معانيها، هي الأساس الذي تتركّب منه الصيغ الإفرادية التي تندرج ضمن المستوى الصّرفي الذي يتعامل مع الصّيغ الإفرادية من جوانب مختلفة، فيدرسها ويحلّل مكوناتها من مادة ووزن، وشكل، ودلالة.

إنَّ دراسة الصّيغ الإفرادية، تحتّم علينا دراسة العوامل الصوتية، وما يطرأ من خلال توظيفها من تغيرات وتبدّلات على مباني الصّيغ الإفرادية ومعانيها، وهذا لأثرها في التّشكيل والتّنويع الصّوتي الذي يلحقها، وإذا نظرنا إلى مكوّنات الصّيغ، وجدنا بأنّ للصوت دورا في تغيراتها الشكلية، وتنويعاتها الدّلالية، وهذا الدّور تلعبه زيادة العوامل الصّوتية في البنية الصّرفية لأن الزّيادة في المبنى ينتج عنها الزّيادة

[1] المرجع السابق، ص16.

في المعنى، وبالتالي (تؤدي هذه الزيادات الصّوتية إلى استيعاب دلالات جديدة)[1] الصّيغ الإفرادية، ضمن البنية التّركيبية.

والحديث عن البنية الصّرفية يقودنا إلى الحديث عن البنية التّركيبية مع العلم أن "المباني الإفرادية أساس التّراكيب؛ وإذا كانت التّراكيب تشكلها الجملة بمفهومها العام؛ فإن الصّرف هو الموجّه لتشكيلاتها وتلويناتها، وأن المستوى النّحوي التركيبي يستمدّ مادته الأولية –(الخام)– من المستويين الصّوتي والصّرفي السّابقين له"[2]، وإذا كان المستوى الصّوتي يدرس الأصوات و"المستوى المورفولوجي يدرس المفردات؛ فإن المستوى التركيبي ينظر إلى ما اجتمع من المفردات منتظما بقانون يسمى القاعدة النحوية، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركات الإعرابية"[3] التي تعتبر المنطلق الصّوتي للدّراسات النّحوية العربية، والمتمعن في ألفية ابن معطي يلحظ مختلف التّغيرات الصّوتية المبثوثة بين أبيات الألفية والتي نذكر منها:

[1] ابن معطي، الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، تق: سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة مصر، ط1، 2010م، ص16.

[2] عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، منشورات دار أزمنة، دط، 1998م، ص234.

[3] سعاد بسناسي، التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2012م، ص1.

3-1- في وظيفة الصوائت:

الصّوائت في العربية هي العلامات التي تصاحب الصّامت أثناء نطقه، حيث إنّ نطق الصّوامت لا يتم إلاّ إذا اقترنت بالصّوائت، وهناك تسميات أخرى تطلق عليها منها (المصوّتات، الحركات، والعلامات الإعرابية والبنائية، والسّواكن، والطّليقات)"[1]، وكلّها مسميات لمعنى واحد اشتهر عند علماء الأصوات بالصّائت، وأواخر الكلم هو أول ما ضبط من الخط العربي وذلك من خلال "النّقط التي وضعها أبو الأسود هي التي سماها لاحقوه حركات الإعراب، وعلامات الإعراب"[2]، وابن معطي يحدّد الوظيفة النّحوية للصّوائت العربية في قوله في باب الإعراب والبناء:

"القَوْلُ في الإعْرابِ والبِناءِ الأَصْلُ في الإعْرابِ للأَسْماء

وَحَدُّهُ تغَيّـــرُ في الآخِــرِ بِعـــــامِلٍ مُقَدَّرٍ أو ظــاهِرِ

بالرَّفْعِ أو النَّصْبِ أو بِالجَرِّ .....[3]"

فالرّفع والنّصب والجرّ علامات للإعراب منها الفتحة والضمة والكسرة، وفي باب الأسماء المعربة يقول:

---

[1] المرجع السابق، ص2.

[2] مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص65.

[3] مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم الجزائر، طبعة خاصة، 2012م، ص80.

"القَولُ إعراب الاسْم الوَاحد كلُّ صحيح بانْصرافٍ وارِدِ

فَرَفْعُــه بضمَّــة تبيـــن .....

والنَّصْبُ فيه بانْفِتاحِ الآخر والجَرُّ فيه بانْكِسارٍ ظاهِرِ"[1]

3-2- في أجزاء الحركات ومضاعفاتها:

الحركة الأصلية هي التوسط ولكل حركة أجزاء ومضاعفات، وأجزاء الحركة ثلاثة، ومضاعفاتها ثلاثة، أما عن أجزائها فهي روم وإشمام واختلاس، والمضاعفات هي المد والتمديد والاستطالة، وابن معطي يذكر في ألفيته من أجزاء اثنان هما الروم والإشمام ولم يفصل في المضاعفات حيث يقول:

"**والرّوم والإشمام والتّضعيف** ....."[2]

3-3- القول في التصريف:

يقول ابن معطي في تحديده للتصريف:

"**القَولُ فِي التَّصْريفِ وهو يشْتَمِلْ على زِيادَةٍ وحذفٍ وبَدَلْ**"

[1] ابن معطي، الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

والتّصريف في المعنى اللغوي هو: "تصرف في الأمر: احتال وتقلب فيه. والصّرْف في اللغة: علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه"[1]، وفي المفهوم الاصطلاحي "هو التلعُّب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المستفادة منها وغير ذلك، فإذ قد ثبت ما قدمناه فليعلم أن التّصريف ينقسم إلى خمسة أضرب: زيادة، بدل، حذف، تغيير حركة أو سكون، إدغام"[2]، تتغيّر معها بنية الصّيغة الإفرادية.

أ- الزيادة:

الزّيادة هي " ما زاد على الشيء، وحروف الزّيادة: عشرة حروف يجمعها قولك سألتمونيها"[3].

وهي "أن يضاف إلى أصول الكلمة حرف واحد، نحو أجلس، أصلها: جلس، أو حرفان، نحو: اقتطع أصلها: قطع، أو ثلاثة أحرف، نحو: استخرج، أصلها: خرج "[4]، وفيها قال ابن معطي:

"وَأَحْرُفُ الزّيَادَة المُنْحَصِرَة آوَيْتُ مِنْ سَهْل هِجَاء العَشْرَة"[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص20.

[2] المرجع السابق، ص69.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط2، 1973م. ج1، ص513.

[4] أبو الفتح عثمان بن جني، التصريف الملوكي، تح: ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1 1998م، ص13.

[5] الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ص69.

وبعد حصره حروف الزّيادة في " آويت من سهل" يفصّل في التّمثيل لكل حرف لوحده.

ب- التجانس الصوتي:

التّجانس الصّوتي ظاهرة لغوية "وتسمى هذه الظّاهرة في الدّرس اللغوي الصّرفي عند القدماء وعامة الدارسين الإبدال"[1]، والإبدال لغة هو "بادل الشيء بغيره، مبادلة، وبدالا، وأبدله غيّره، وأبدل الشيء بغيره، ومنه: اتّخذه عوضا عنه، وخلفا له"[2].

وفي اصطلاح الصّرفيين "الإبدال هو جعل مطلَق حرفٍ مكان آخر، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب، لاختصاصه بحروف العلة، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكس إذ يجتمعان في نحو: قال ورمى، وينفرد الإبدال في نحو: اصطبر وادّكر... وقال الأشموني: قد يطلق الإبدال على ما يعُم القلب إلا أن الإبدال إزالة، والقلب إحالة والإحالة لا تكون إلا بين الأشياء المتماثلة، ومن ثم اختص بحروف العلة والهمزة، لأنها تقاربها بكثرة التغيير"[3]، والإبدال هو "حذف حرف ووضع آخر مكانه، بحيث يختفي الأول ويحلّ في موضعه غيره، سواء أكان الحرفان من أحرف

---

[1] راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، مراجعة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ص 275.

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، ص409.

[3] سعاد بسناسي، التحولات الصوتية والدلالية في المباني الإفرادية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط12012م، ص55.

العلة ...أم كانا صحيحين، أم مختلفين"[1]، وابن معطي في ألفيته أفرد للإبدال بابا حيث يبدأ بقوله:

"وَأَحْرُفُ الإِبْدَالِ يَأْتِي التَّبْيِينُ بِحَصْرِهَا فِي أَجهدتم طَاوين"[2]

ثم ينتقل مفصّلا في الإبدال في أكثر من عشرين بيت من الألفية.

ج- التماثل الصوتي:

يعرف التّماثل الصّوتي في الدّراسات اللغوية القديمة بالإدغام، والإدغام لغة: من "أدغم الشّيء في الشّيء: أدخله فيه، وأدغم الحرف في الحرف، ادّغمه فيه: أدغمه، يقال: ادّغم الحرف في الحرف"[3]، وأما اصطلاحا: فـ"هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إيّاه بهما موضعا واحدا، وهو لا يكون إلا في المثلثين أو المتقاربين"[2]، وفي الإدغام قال ابن معطي والذي أفرد له بابا باسمه:

"القَوْلُ فِي الإِدْغَامِ بِاخْتِصَار وَبَعْدَه ضَرَائِر الأَشْعَار

أَمَّا إِدْغَام الحَرْف فِي مَثِيلِه كَالدَّال فِي الدَّال فَمِن تَمْثِيله

شَدّ يَشُدّ شدّ داؤودا مُحَرّكا أَو سَاكِنا مَوجُودا

---

[1] المعجم الوسيط، ج1، ص 44.

[2] أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، دت. ص200.

[3] ابن جني، التصريف الملوكي،ص26.

أَمَّا إِدْغَام المُتَقَاربين كَالدال فِي الذال مُلاَصقين

كاذَّرى وقَد ذَرى فقِس تُصِب ......"[1]

والملاحظ أن ابن معطي سار على درب سيبويه حيث تحدث عن مخارج الأصوات وصفاتها في باب الإدغام.

4- في المخارج الصوتية:

كان حديث المخارج في الدراسات الصوتية العربية واسعا، ومتشعّبا، حيث يُعرّف المخرج بأنّه "الموضع الذي يتولد فيه الصوت اللغوي وينطلق منه"[2]، ولكل حرف مخرج محدد يخرج منه، من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتين، حيث وزّع الخليل الحروف العربية، ورتّبها حسب مخارجها.

وكان ترتيب الخليل للأصوات كما يلي: (ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء)"[3]؛ حيث بدأ الخليل ترتيبه من الحلق إلى الشفتين كما يلي: (الحلق، اللَّهَاة، الشَّجْر، الأسلة، النِّطْع، اللِّثة، الذَّلَق، الشَّفَتين، وعن الياء والواو والألف والهمزة قال بأنها هوائية في

[1] ابن معطي، الدرة الألفية في النحو والصرف والخط والكتابة، ص70.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، ص288.

[3] ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1996م. ص403.

حيّز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء)"[1]، فكانت هذه نظرة الخليل لمخارج الحروف وترتيبها، من خلال نطقها ساكنة مسبوقة بهمزة وصل، وكل حرف منفرد لوحده، ليحدد مخرجه، وهي عنده تسعة مخارج، في حين كان لسيبويه من بعده تعداد آخر لمخارج الحروف، حيث يقول: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجا"[2] موزعة على الجهاز النطقي من الحلق إلى الشفتين.

وحديثنا عن المخرج، يقودنا إلى ذكر المصطلحات التي أوردها الخليل في كتابه "العين"، والوقوف عندها لأهمّيتها وهي: المبدأ، والمدرج، والحيّز؛ فالمبدأ هو: "الموضع الذي يبدأ الصوت فيه بالتجمع، أمّا المدرج فهو الموضع الذي تتحرك منه مجموعة من الأصوات المتقاربة، فهو موضع بداية الصّوت الثاني، عند نقطة توقف الصّوت الأوّل، وأمّا الحيّز فهو الموضع الذي تتجمّع فيه عائلة صوتية واحدة، وذلك مثل الحروف الحلقية، كلها تنسب إلى الحلق"[3]، هذه المصطلحات حتى وإن تقاربت مفاهيمها، فإنّ الفرق بينها واضح من خلال النّص؛ وذلك بأنّ كل صوت له موقعه الخاص الذي يحدث فيه أثناء النطق به، وهي موزعة على الجهاز النطقي.

[1] ابن معطي، الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ص72.

[2] مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 77

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ج1، ص30.

والمتمعّن في قول ابن معطي في مخارج الأصوات العربية، يجده يوافق الخليل ابن أحمد الفراهيدي في تحديده لمخارج الأصوات، وينفرد عنه بالمخرج التاسع الذي خصصه الخليل للأصوات الهوائية التي لا يعلق بها شيء؛ حيث يقول ابن معطي:

"..... **فَالقَولُ فِي ذِكْر المَخَارِج يَجب**

لَهَويَة حَلَقِية شَجَرِية وَأَسَلِية مَع النَّطْعِية

وَلَثَوِيَة مَع الذَّلَقِية وَشَفَهِية مَع اللينية"[1]

5- في صفات الأصوات العربية:

قبل التّعريف بصفات الأصوات وتعدادها، ينبغي التطرّق إلى مفهوم صفة الصّوت، حيث تعرف بأنّها: "الكيفية التي يتمّ بها حبس وإطلاق تيار الهواء في جهاز النّطق، وتتخذ أسلوبا لتصنيف أصوات الكلام"[2]، فلكلّ صوت طريقة خاصة في نطقه، يتم خلالها التحكّم في تيار الهواء الصاعد من الرئتين، وبهذا يكتسب الصّوت صفته الأساسية بين الجهر والهمس، وهذا كلّه مرتبط بالصّوت أثناء نطقه، ونحن في هذه الدّراسة نعتمد الخطب مجالا للتّطبيق، والخطب تعتمد على المشافهة بالدرجة الأولى.

[1] المرجع السابق، ص41-42.

[2] سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.

5-1- الصفات الصوتية الأساسية:

نجد كتاب سيبويه تعريفا لصفتي الجهر والهمس؛ حيث يقوله: "فالمجهورة: حرف أُشْبِع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه، أمّا المهموس فحرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتّى جرى النّفس معه"[1]، فهو بهذا يحدّد الصّفات الأساسية وكيفية حدوثها، والدور الذي تلعبه قوة جريان الهواء الخارج من الرئتين مرورا بالوترين الصوتيين، وما يعترض طريقه من عرقلة تحدث معها الأصوات المجهورة؛ وأمّا المهموسة فيكون حدوثها أثناء مرور الهواء الذي امتلأت به الرئتان إلى خارجهما دون عرقلة، وكلّ حرف حسب مخرجه.

أمّا بالنسبة لإشباع الاعتماد، وإضعافه أثناء نطق الحرف، فهو متعلق بالقوة التي يتطلبها نطق أي صوت؛ وذلك لأنّ (نطق الصوت المجهور –عموما– يتطلّب جهدا عضليا أكبر مما يتطلّبه الصوت المهموس)[2]، وبناء على هذا تمّ تحديد الأصوات المهموسة والمجهورة، والتفريق بينها، فكانت المهموسة منها ما جمعت في قول: (سكت فحثه شخص)[3] وهي عشرة أصوات، وما تبقى من الأصوات العربية فهي كلها مجهورة.

---

[1] مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية–، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص40 – 41، باختصار وتصرف.

[2] الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ص72.

[3] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2007م، ص139.

5-2- الصفات الثانوية:

تنقسم الأصوات العربية حسب صفاتها الثانوية إلى ثلاث مجموعات وهي: الشّديدة، والمتوسّطة، والرّخوة؛ فالشّديدة ثمانية أصوات هي: (أجدك قطبت)[1]، أمّا المتوسطة فهي ثمانية أصوات كذلك: (لم يروعنا)[2] وما تبقى من الأصوات العربية تسمّى رخوة.

5-3- الصفات التمييزية:

نجد بعض الأصوات العربية التي تشترك في المخرج نفسه والصفة الأساسية والثانوية نفسها، ولذلك هناك صفات تمييزية للتفريق بينها، وهذه الصّفات التمييزية هي: (الاستعلاء، والاستفال، والانفتاح، والإطباق، والإصمات، والذّلاقة، والقلقلة، والصّفير، والغنة، واللّين، والاستطالة، والتفشي، والانحراف، والتكرار، والهاوي)[3]، فإذا التقى صامتان في المخرج والصفتان الأساسية والثانوية، كان لكل منهما صفة تمييزية تفرقه عن الآخر، وتنقسم هذه الصفات إلى ثنائية وأحادية.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، ص434.

[2] عادل محلو، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص68.

[3] مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية–، ص98.

أ- الصفات التمييزية الثانوية:

الإطباق والانفتاح: تتميّز بعض الأصوات بصفة الإطباق؛ وقد حدّدها سيبويه بقوله: (فأمّا المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء)[1]، وسميت كذلك لأنّ "لأنّ اللّسان ينطبق على مخرج الصوت أثناء النطق بها"[2] وما تبقى من الأصوات العربية عدا هذه الأربعة، كلّها منفتحة.

الاستعلاء والاستفال: قسّمت الأصوات العربية إلى مجموعتين، فالمجموعة الأولى أطلق عليها اسم الأصوات المستعلية، وهي (التي يستعلي معها مؤخّر اللسان في اتجاه الحنك الأعلى قرب اللّهاة، وهي الغين، والخاء، والقاف، والطاء، والظاء، والصاد، والضاد)[3] وأما المجموعة الثانية فهي الأصوات المستفلة.

الذلاقة: تختص الذلاقة بستة أصوات وهي: (اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنّه يعتمد عليها بذلق اللّسان)[4]، وباقي الأصوات توصف بالمصمتة.

---

[1] مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، باختصار وتصرف، ص55.

[2] المرجع السابق، ص55.

[3] ينظر: مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية–، ص104 وما بعدها.

[4] سيبويه، الكتاب، ج 4، ص436.

ب – الصفات التمييزية الأحادية:

القلقلة: القلقلة صفة تطلق على الأصوات التالية: "القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال"، ويظهر ذلك أثناء نطقها؛ حيث "لا بدّ أن تأتي الأصوات الخمسة ساكنة حتى يظهر فيها صوت القلقلة"[1]، وذلك لاستحالة نطقها ساكنة ما لم تتبع بصُويت يساعد على نطقها.

الصّفير: أصوات الصّفير ثلاثة وهي: "السين، والصاد، والزّاي"، ولهذا السبب أطلقت عليها هذه الصفة.

الغنّة: يتصف بهذه الصفة صوتان من الأصوات العربية، وهما "الميم والنون"، وسميا كذلك لأنّه "فيهما غنّة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما"[2]؛ حيث أنّك إذا حاولت نطقهما مع إغلاق الأنف فلن تستطيع نطقهما بشكل صحيح، والغنّة صفة مستحسنة في قراءة القرآن والأشعار بشرط عدم المبالغة فيها، وإلاّ تحولت إلى صفة غير مستحسنة.

[1] كوليزاركاكل عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة، ط1، 2009م، ص45.

[2] مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية–، ص105.

اللّين: حرفا اللين هما "الواو والياء" "لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرهما"[1]، فيكون نطقهما بذلك أسهل، لذلك وصفا بهذه الصفة في حالة سكونهما، وفتح ما قبلهما.

الاستطالة: اختصّ بهذه الصفة حرف "الضاد"؛ لأنّ "النطق بها يجعل اللسان يمتدّ من أوّل حافة الأضراس محاذيا لجميع الأسنان"[2]، فأصبح حرف الضاد يتصف بهذه الصفة، والضاد العربية نطقها الصحيح غير موجود.

التّفشي: يتميّز صوت "الشين" بهذه الصفة؛ وذلك؛ "لأنّها تفشّت في مخرجها عند النطق بها حتّى اتّصلت بمخرج الظّاء"[3]، فكانت هذه الصفة خاصة به، مميّزة له.

التّكرار: وهي صفة مميّزة لحرف الراء، لأنّه (شديد يجري فيه الصّوت لتكريره)[4]، ولو لم يكرّر لما استطعنا نطقه.

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، ط2، 1993م، ص64.

[2] غانم قدّور الحمد، علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة، ص65.

[3] أبو محمّد مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 131.

[4] سيبويه، الكتاب، ج 4، ص435.

الانحراف: والانحراف خاص بحرف "اللام"؛ لأنّ "اللسان ينحرف فيه مع الصوت"[1] عند النطق به، فسمي بذلك منحرفا.

الهاوي: والهاوي هو حرف الألف؛ لأنّه "حرف اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الواو والياء"[2]، فاختص الألف بهذه الصفة دون بقية الأصوات، وحديث ابن معطي عن الصّفات الصّوتية كان مجملا مركّزا دقيقا، تضمن الصفات الصّوتية الأساسية والثانوية والتمييزية حيث قال:

"مَهْمُوسَة مَجْهُورَة مُسْتَرْخِية شَدِيدَة بَيْنَهُمَا مُسْتَغْلِيَة

مُطْبَقَة مُنْحَرِف مُكَرّر هَاو أغن طَوِيل صفّر"[3]

الخاتمة:

في النّهاية نقول إنّها نفوس كان همّها الارتقاء في الفضاء المعرفي اللغوي العربي، مُقدّمة بين يديها عصارة جهودها، وهو ما عمل عليه ابن معطي الزّوَاوي متفرّدا بين أقرانه ومتميّزا بألفيته النّحوية، الحاملة بين كنفاتها درسا صوتيا، حيث شهد له بها القاصي والدّاني، رغم إغفال بعض الدّارسين لهذا التفرّد، إلا أنّه يبقى واجبا مُلحّا علينا الالتفات والاهتمام بتراثنا الفكري وبرجاله بكل أقسامه، وإعطاء

[1] مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية–، ص113.

[2] أبو محمّد مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص134.

[3] ابن معطي، الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ص72.

الأولوية للغوي بتحقيق المخطوطات التي تحمل بين صفحاتها كنوزا وعقول رجال من قطرنا أحبّوا اللغة العربية لغة النّص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1996م.

2- ابن معطي، الدرة الألفية ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، تح: سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة مصر، ط1، 2010م.

3- ابن معطي، الفصول الخمسون، تح: محمود محود الطناحي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دط، دت.

4- أبو الفتح عثمان بن جني، التصريف الملوكي، تح: ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1 1998م.

5- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، ط2، 1993م.

6- أبو عمر الداني، المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، ط2، 1997م.

7- أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان،الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، دت.

8- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.

9- راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، مراجعة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993م.

10- سعاد بسناسي، التحولات الصوتية والدلالية في المباني الإفرادية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط12012م.

11 - سعاد بسناسي، التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2012م.

12- سيبويه، الكتاب، تح وشر: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط1، 1966م.

13- شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط.11

14- صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2007م.

15- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، منشورات دار أزمنة، دط، 1998م.

16- كوليزاركاكل عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة، ط1، 2009م.

17- مكي درار، المجمل من المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، وهران، الجزائر، ط2، 2006م.

18- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية – دراسة تحليلية تطبيقية-، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

19- مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم الجزائر، طبعة خاصة، 2012م.